مقدمة

الحمد لله الذي جعل الشريعة الإسلامية نورًا للناس وهدى، وفرقانًا بين الحق والردى، وصلى الله على محمد الذي قال «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين ويلهمه رشده**»[1]، وعلى آله وصحابته الكرام الذين حفظوا لنا الشريعة الغراء، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد: فإن الفقه في الدين أهم ما يجب على الإنسان أن يتعلمه، وهو أوجب شيء على المرء أن يهتم به، كيف لا وقد بيَّن الأئمة من أهل العلم أن في الفقه ما يقيم النائم والجاهل، ويبعث الطالب الخامل؛ ففي الفروع لابن مفلح[2] قال:

والأشهر عن أحمد[3] الاعتناء بالحديث والفقه والتحريض على ذلك.

وقال: لا يتثبط عن طلب العلم إلا جاهل.

وقال: ليس قوم خيرًا من أهل الفقه، وعاب على محدِّث لا يتفقه.

قال: يعجبني أن يكون الرجل فهيمًا في الفقه.

قال ابن مفلح: قال شيخنا ـ يعني ابن تيمية-[4]: قال أحمد: معرفة الحديث،

---

(1) متفق عليه صحيح البخاري6/ 2667. صحيح مسلم 2/ 718.

(2) الفروع لابن مفلح 1/ 477. وفي نسخة 1/ 534-535

(3) أحمد بن حنبل 164-204هـ . أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني الوائلي، أبوعبد الله، إمام المذهب الحنبلي، أصله من مرو، ولد ببغداد، ورحل كثيرًا في طلب العلم، وصنف الكتب النافعة. تاريخ ابن عساكر 2/ 82. حلية الأولياء للأصفهاني 9/ 161. تايخ بغداد 4/ 412 .

(4) ابن تيمية 661-728هـ . أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي، شيخ الإسلام، تقي الدين، أبو العباس، محدث حافظ، مفسر فقيه مجتهد له المؤلفات النافعة. البداية والنهاية لابن كثير 14/ 132-141، البدر الطالع للشوكاني 1/ 63-72 .

والفقهُ فيه، أعجبُ إلي من حفظه، وفي خطبة مذهب ابن الجوزي[1]: بضاعة الفقه أربح البضائع، وفي كتاب العلم له: الفقه عمدة العلوم.

وفي صيد الخاطر له: الفقه عليه مدار العلوم؛ فإن اتسع الزمان للتزيد من العلم؛ فليكن من الفقه؛ فإنه الأنفع، وفيه المهم من كل علم هو المهم.

وقال: من الناس من يرى أن غاية المراتب الزهد؛ فيطلبه ويفوته العلم؛ فهذا مغبون؛ لأن العلم أفضل من الزهد؛ فقد رضي بنقص وهو لا يدري، وسبب رضاه بالنقص قلة فهمه؛ إذ لو فهم لعرف شرف العلم على الزهد.

ومنهم من يقول: المقصود من العلم العمل؛ وما يَعْلَم هذا أن العلم عمل القلب، وذاك أشرف من عمل الجوارح.

ومن طلبة العلم من تعلو همته إلى فن من العلوم؛ فيقتصر عليه، وهذا نقص، فأما أرباب النهاية في علو الهمة؛ فإنهم لا يرضون إلا بالغاية؛ فهم يأخذون من كل فن من العلم مُهِمَّه، ثم يجعلون جلَّ اشتغالهم بالفقه؛ لأنه سيد العلوم، ثم ترقيهمُ الهممُ العاليةُ إلى معاملة الحق، ومعرفته، والأنس به، وقليل ما هم. انتهى كلامه.

وقال الشافعي[2] ليونس بن عبد الأعلى[3]: عليك بالفقه؛ فإنه كالتفاح الشامي يحمل من عامه.

---

(1) ابن الجوزي 510-597هـ. عبد الرحمٰن بن علي بن محمد القرشي التيمي البغدادي الحنبلي، جمال الدين، أبو الفرج، محدث حافظ مفسر مؤرخ، له المنتظم في تاريخ الأمم. تذكرة الحفاظ للذهبي 4/ 131. طبقات المفسرين للسيوطي ص17.

(2) الشافعي 150-204هـ. محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب الهاشمي المطلبي، ولد بغزة، وحمل إلى مكة فسكنها، ورحل في طلب العلم، ثم استوطن مصر وتوفي بها، لقي مالكًا ومسلم بن خالد وابن عيينة، وروى عنه ابن حنبل وأبو ثور والبويطي والمزني. تذكرة الحفاظ للذهبي 1/ 329. تاريخ بغداد 2/ 56-73.

(3) يونس 170-264هـ. يونس بن عبد الأعلى بن ميسرة بن حفص بن حيان الصدفي، أبو موسى المصري، أحد أصحاب الشافعي وأئمة الحديث، روى عنه مسلم في صحيحه والنسائي وابن ماجه، قال الشافعي: ما رأيت بمصر أحدًا أعقل من يونس، وقال الذهبي: وانتهت إليه رئاسة العلم بديار مصر لعلمه وفضله وورعه ونسكه ومعرفته بالفقه وأيام الناس. طبقات الشافعية للسبكي 2/ 72. مرآة الجنان 2/ 176.

وأملى الشافعي على مصعب الزبيري[1] أشعار هذيل ووقائعها وآدابها حفظًا؛ فقال: أين أنت بهذا الذهن عن الفقه ؟ فقال: إياه أردت.

وقال أحمد عن الشافعي: إنما كانت همته الفقه.

وقال أبو حنيفة[2]: ليس شيء أنفع من الفقه.

وقال محمد بن الحسن[3]: كان أبو حنيفة يحثنا على الفقه، وينهانا عن الكلام.

وفي خطبة المحيط للحنفية: أفضل العلوم عند الجمهور ـ بعد معرفة أصل الدين، وعلم اليقين ـ معرفة الفقه.

وقال الإمام البخاري[4] ـ وهو يحث على طلب الفقه ـ وهو ـ الفقه ـ مع ذا ثمرة الحديث، وليس ثواب الفقيه بدون ثواب المحدث في الآخرة، ولا عزه له بأقل من عز المحدث اه[5].

(قلت): فهل بعد هذا مدح للفقه أكثر من هذا المدح، وثناء عليه أبلغ من هذا الثناء ؟!

وقد رتبت عملي هذا على مقدمة تقدمت وعلى فصلين وخاتمة.

---

(1) الزبيري 156-236هـ. مصعب بن عبد الله بن ثابت بن مصعب بن عبد الله بن الزبير، أبو عبد الله، علامة بالأنساب والتاريخ، ثقة في الحديث. توفي ببغداد. تهذيب التهذيب10/ 162. تاريخ بغداد 13/ 112.

(2) أبو حنيفة 80-150هـ. النعمان بن ثابت بن زوطا، إمام الحنفية، الفقيه المجتهد المحقق، كان يبيع الخز ويطلب العلم، ثم انقطع للعلم، طلبه المنصور للقضاء فأبى فحبسه حتى مات، كان كريمًا في أخلاقه جوادًا، حسن المنطق والصورة. تأريخ بغداد 13/ 323-423. تاريخ ابن خلكان 2/ 163.

(3) الشيباني 131-189هـ. محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني، أبو عبد الله، إمام بالفقه والأصول، تلميذ أبي حنيفة ، قال الشافعي: لو أشاء أن أقول نزل القرآن بلغة محمد بن الحسن، لقلت، لفصاحته، توفي بالري؛ له المؤلفات الكثيرة، هي أصول المذهب الحنفي. تاريخ بغداد 2/ 172-182. الفهرست لابن النديم 1/ 203.

(4) البخاري 194-256هـ. محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، أبو عبد الله حبر الإسلام الحافظ، له الجامع الصحيح وغيره. تاريخ بغداد 2/ 4/ 36. تذكرة الحفاظ للذهبي2/ 132.

(5) الفروع لابن مفلح 1/ 478 .